الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

« ظهرت الوهابية في الصحراء العربية، نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ونتيجة لكثرة البدع التي ليست من الدين، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدنيوية.

فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحيت مذهب ابن تيمية »[1].

* وقال الزركلي في الأعلام:

« محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ».

« وكانت دعوته، وقد جهر بها سنة (1143هـ) (1730م) الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله: تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين الأفغاني بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير علي في كلكتة، ولمعت أسماء آخرين. وعُرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد « إخوان من أطاع الله » وسماهم خصومهم بالوهابيين (نسبة إليه) وشاعت التسمية الأخيرة عند

---

[1] () المذاهب الإسلامية (211، 212).

الأوربيين فدخلت معجماتهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها « مذهباً » جديداً في الإسلام، تبعاً لما افتراه خصومه، ولا سيما دعاة من كانوا يتلقبون بالخلفاء من الترك العثمانيين »[1].

*** ويقول الدكتور محمد فتحي عثمان:**

« وقيض الله للانتصار لعقيدة التوحيد الصحيحة (دعوة) و (حركة) تهز عامة الناس وعلماءها وحكامها جميعاً على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (1115-1206هـ/1703-1791م)... وكانت هذه (الحركة) الواسعة العميقة الفعالة هي خصيصة الرجل وميزته بين الدعاة إلى عقيدة السلف من علماء الحق ومعلمي الخير الذين طالما نادوا بإصلاح العقائد والأقوال والأعمال كم من المصلحين دعوا مثل هذه الدعوة... فما السبب في نجاح الدعوة الوهابية دون الأخرى؟ السبب في هذه ما أحاط بالدعوة الوهابية من ظروف لم تتهيأ لغيرها. فقد اضطهد في بلده (العيينة) واضطر أن يخرج منها إلى (الدرعية مقر آل سعود، وهناك عرض دعوته على أميرها محمد بن سعود فقبلها، وتعاهدا على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع ونشر الدعوة في شبه جزيرة العرب باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند من لم يقبلها »[2].

---

1 () الأعلام لخير الدين الزركلي (7/257).

2 () السلفية في المجتمعات المعاصرة (32).

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

*** ويقول العقاد:**

« فالنهضة في مصر بدأت عند أوائل القرن التاسع عشر. ولكنها بدأت في الجزيرة العربية قبل ذلك بنحو ستين سنة بالدعوة الوهابية التي تنسب إلى الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وبدأت نحو هذا الوقت في اليمن بدعوة الإمام الشوكاني صاحب كتاب « نيل الأوطار »، وكلاهما ينادي بالإصلاح على نهج واحد: وهو العود إلى السنن القديم ورفض البدع والمستحدثات في غير هوادة، وإنما تسامع الناس بحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وظلت الدعوة الشوكانية مقصورة على قراءة كتب الفقه والحديث؛ لأن الوهابيين هدموا القباب والأضرحة في الحجاز واصطدموا بجنود الدولة العثمانية في إبان حربها مع الدولة الأوربية التي اتفقت على تقسيمها، مثل هذا الاصطدام قد أودى بدولة علي بك الكبير في مصر فانتقض عليه أعوانه وتمكن منه حساده بعد محالفته لروسيا في حرب الخلافة الإسلامية.

ولم تذهب صيحة ابن عبدالوهاب عبثاً في الجزيرة العربية ولا في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، فقد تبعه كثير من الحجاج وزوار الحجاز وسرت تعاليمه إلى الهند والعراق والسودان وغيرها من الأقطار النائية، وأعجب المسلمين أن سمعوا أن علة الهزائم التي تعاقبت عليهم إنما هي

في ترك الدين لا في الدين نفسه، وأنهم خلقاء أن يستجدوا ما فاتهم من القوة والمنعة باجتناب البدع والعودة إلى دين السلف الصالح في جوهره ولبابه»[1].

ويقول الحسن بن علي آل عايض [2] في رسالة له إلى الحسين بن علي شريف مكة، مفنداً ما رمى به ابن سعود (الملك عبدالعزيز -رحمه الله-) وعلماء الدعوة من أوصاف مشينة:

« وإن أمر ابن سعود ليس كما وهمت في رسالتك أنه أعرابي يقود أجلافاً طعامهم الجراد، من ضئضئي ذي الخويصرة، وأن دياره ديار فتن، وعلماءه غلاة يكفرون من لم يدخل في طاعته ويستبيحون ماله ودمه، وينظرون إلى ما سواهم نظرة الازدراء، وأنه من ولد مسيلمة الكذاب.. وأن حوله بني حنيفة وبني تميم، إلى آخر ما ذكرت، ولكن الأمر خلاف ذلك، فأكثر من حوله من قحطان، وهي قبائل ذات بأسٍ ومنعةٍ، ولها أخلاقٌ، ودين تدافع في سبيله ».

ثم قال: « وأما علماء نجد فإن لنا بهم صلة إذ كانوا يأتون عسيرا ويتصلون بأبي وعمي، وكنا نحضر دروسهم ونحن صغار، فنعم الرجال هم، فإنهم شديدون في ذات الله، وليس لديهم مواربة، فلو علموا أن عبدالعزيز قد وضع يده مع الإنكليز في

[1] () موسوعة العقاد الإسلامية (4/608، 609).

[2] () أمراء عسير قبل أن تضم للدولة السعودية.

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

معاهدة ضد العثمانيين لوقفوا في وجهه وكفَّروه »[1].

إلى أن قال:

« أما أن الديار هي قرن الشيطان فإن الأرض بأهلها، ولا نعرف عنهم إلا خيراً، ويجب ألا نسيء الظن بالمسلمين، بل علينا أن نتغاضى عن سيئاتهم وخاصة العلماء منهم »[2].

*** وقال محمود فهمي باشا (المهندس المصري) في الجزء الأول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام عن الوهابية:**

« ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة ، ووق ائع عتي دة، دخ ل جمي ع بلاد الع رب ف ي العقائ د الوهابية، أي العقائد الإصلاحية للديانة الإسلامية، وصارت نجد أيضاً في حالة سياسية مدنية جديدة، وبدل أن كانت جهاتها منقسمة إلى عدة عشائر، وشعوب صغيرة منفصلة عن بعضها ومستمرة في حروب وكروب بين بعضها صارت مقر دولة قوية، وسلطنة سياسية، مثال سلطنة الخلفاء القدماء ولرئي س ه ذه الدول ة الس لطة ف ي الأعم ال الديني ة والدنيوية ».

« ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب لم يعتدوا على حقوق

1 () تاريخ عسير للحفظي (358-360).

2 () تاريخ عسير للحفظي (358-360).

الحكومتين المجاورتين لهم، وهما حكومة بغداد الحجاز، وكانت قوافل الحجاز تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لأي قافلة ضرر أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة. وفي سنة (1781) بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم، ونفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوظفه شريف مكة بعد الشريف سرور أعلن حرباً على الوهابية »[1].

وقال: « ولما انتظمت مخابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه إجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من الدخول بعساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابيين إلا وأجراها، وأثبت (أي زعم) أنهم من الملحدين الكافرين، وأن معاملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أقبح الأعمال الفاسدة المضرة »[2].

*** ويقول الدكتور طه حسين عن أثر الدعوة الإصلاحي والأدبي: « اعلم أن الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن**

---

[2] **(1) () البحر الزاخر (1/173، 174) نقلا عن (الوهابيون والحجاز) لمحمد رشيد رضا (58، 59).**

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

عشر فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والمغرب واضطرته أن يهتم بأمرها، وأحدثت فيها آثاراً خطيرة هان شأنها بعض الشيء ولكنه عاد فاشتد في هذه الأيام وأخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالأمم الأوربية أيضاً. هذه الحركة هي حركة الوهابيين التي أحدثها محمد بن عبدالوهاب شيخ من شيوخ نجد.

نشأ محمد بن عبدالوهاب في بيت علم وفقه وقضاء، تثقف على أبيه، ثم رحل إلى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معاً، فسخط عليه الناس وأخرج من البصرة، وكان يريد أن يذهب إلى الشام فحال الفقر بينه وبين ذلك فعاد إلى نجد وأقام مع أبيه حيناً يناظر ويدعو إلى آرائه حتى ظهر أمره وانتشر مذهبه.

وانقسم الناس فيه قسمين: فكان له الأنصار وكان له الخصوم، وتعرضت حياته آخر الأمر للخطر، فأخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر ليجيروه ويحموا دعوته حتى انتهى به الأمر إلى قرية الدرعية، وهناك عرض نفسه على أميرها محمد بن سعود فأجاره وبايعه على المعونة والنصرة. ومن ذلك اليوم أصبح المذهب الجديد مذهباً رسمياً يعتمد على قوة سياسية تؤيده وتحميه بل تنشره في أقطار نجد بالدعوة اللينة حيناً وبالسيف والحرب في أكثر الأحيان. وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولة سياسية عظم أمرها واشتد

خطرها حتى أشفق منها الترك أشد الإشفاق، فقاوموها ما وسعتهم المقاومة، فلما لم يفلحوا استعانوا بالمصريين وكان أمرهم إذ ذاك إلى محمد علي الكبير، فنجح المصريون في إضعاف هذه الحركة وإزالة هذه الدولة الجديدة ورد أمرائها إلى ما كانوا عليه قبل ذلك من التواضع. فلابد من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره في الحياة العقلية العربية في هذا العصر الحديث.

قلت: إن هذا المذهب جديد قديم معاً. والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية. هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده ملغياً لكل واسطة بين الله وبين الناس هو إحياء للإسلام العربي وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب. فقد أنكر محمد بن عبدالوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة وكانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الأشجار والأحجار ويرون أن لها من القوة ما ينفع وما يضر.

وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة العرب الجاهليين فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة وأصبح الدين اسماً لا مسمى له. فأراد

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

محمد بن عبدالوهاب أن يجعل من هؤلاء الأعراب الجفاة المشركين قوماً مسلمين حقاً على نحو ما فعل النبي بأهل الحجاز منذ أكثر من أحد عشر قرناً.

ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد في نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز فقد دعا صحبه إليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس أظهر دعوته فأصابه الاضطراب وتعرض للخطر، ثم أخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر كما عرض النبي نفسه على القبائل ثم هاجر إلى الدرعية وبايعه أهلها على النصر، كما هاجر النبي إلى المدينة. ولكن ابن عبدالوهاب لم يرد أن يشتغل بأمور الدنيا فترك السياسة لابن سعود واشتغل هو بالعلم والدين واتخذ السياسة وأصحابها أداة لدعوته، فلما تمّ له هذا أخذ يدعو الناس إلى مذهبه فمن أجاب منهم قبل منه ومن امتنع عليه أغرى به السيف وشب عليه الحرب، وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأخلصوا له الطاعة وضحوا بحياتهم في سبيله على نحو ما انقاد العرب للنبي وهاجروا معه.

ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو جداً أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في

القرن الأول »[1].

*** ويقول الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم[2]:**

« أثارت الدعوة السلفية ولا تزال تثير جدلاً كثيراً، فأيدها كثيرون وعارضها كثيرون، والحقيقة أنها لم تأت بجديد في الدين الإسلامي، ولم تكن خارجة عن مبادئه، بل إنها دعوة سنية سلفية، فصاحبها وأتباعها يؤمنون بمذهب أهل السنة والجماعة، ويسيرون على طريقة السلف الصالح فيما يتعلق بآيات الصفات وأحاديثها »

إلى أن قال: « فالدعوة في أصولها تعتمد على مصدرين أصليين للتشريع هما القرآن والسنة »[3].

وقال: « أما أعداء الدعوة فلقد رموها بما لم يكن فيها، وذلك باتهام أتباعها بالقول بأن العصا خير من النبي ﷺ[4] [illegible]: « [illegible] » [illegible] ([illegible]) [illegible] [illegible] »[5].

---

1 () الحياة الأدبية في جزيرة العرب (32-37).

2 () النص له مع الهوامش.

3 () Burkhardt, Notes on Bedoukns, p. 278

4 () خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان ص(230).

5 () جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة ص(

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

*** ويقـول محمـد جلال كشـك: « فالطـابع السياسي للحركة الوهابية، متوفرة لمجـرد انتمائهـا للفكـر الإسـلامي الصـحيح ودعوتهـا للتوحيـد، ولكـن لمـاذا انفـردت هـذه الـدعوة بـذلك الأثـر السياسـي وتميزت عن الدعوات السلفية التي سبقت أو تلتهـا، مع أن الفكـر التوحيـدي ورفـض الأوليـاء أو التمسـح بـالقبور، آراء موجـودة -كمـا قلنـا- فـي الفكـر الإسلامي، وأشار إليها ودافع عنها أكثر من عالم في كل قرن وفي أكثر من بلد، ودعوة التوحيد التي نادى بها الشيخ تقبلهـا العلمـاء فـي شـتى بلـدان العـالم الإسلامي، أو قل لم يستطع أحد منهـم أن يرفضـها، بل على العكس ركز خصومها على اتهامهـا بـأنه « لا جديد فيها » واهتمـوا بمناقشـة الشـكليات، وافـتراء الاتهامات بينما أعلن أكثر مـن عـالم وفقيـه أو حـتى مستشرق، انطباقها على مبادئ الإسلام الصحيحة.**

وقد كان ابن سند[1] صادقاً، وسـيء النيـة فـي نفس الوقت، عندما قال: « إن خطاب سعود في مكة لم يأت بجديد لا يعرفه عوام أهل مكة ».

كذلك ذهب ابـن بشـر إلـى أن الشـريف غـالب، وافق على أفكار الشيخ لولا أن الحاشـية حـذرته بـأن الوهـابيين إنمـا يريـدون ملكـه وليـس ضـميره، « فارتعش قلبه وطار ».

---

314).

[1] **() هو عثمان بن سند البصري، أحد خصوم الدعوة.**

ومحمد بن عبد الوهاب اهتم اهتماماً كبيراً هو وورثته من بعده بتأكيد أنه لا جديد في دعوته، وأنه لم يأت بمذهب خامس، وهذا صحيح بالطبع، وإن كان الحرص على نفي تهمة المذهب الخامس « أمر مبالغ فيه؛ لأن المذاهب في حد ذاتها، ليست أدياناً منزلة، وإنما هي اجتهادات » وهم ورجال ونحن رجال »[1].

*** وقال الشيخ أحمد الناصري السلاوي المغربي:**

« وفي هذه السنة أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان[2] -رحمه الله- ولده الأستاذ الأفضل المولى أبا إسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال، وإبراز الأخبية لظاهر البلد، وقرع الطبول[3]، وإظهار الزينة ».

إلى أن قال: « حكى صاحب الجيش[4] أن المولى إبراهيم عندما ذهب إلى الحج استصحب معه جواب السلطان، فكان سبباً لتسهيل الأمر عليهم،

---

1 () السعوديون والحل الإسلامي (94).

2 () يعني سلطان المغرب.

3 () قرع الطبول لا يليق بشعيرة الحج وهو من البدع ومن عبادات الجاهلية والأمم الضالة. وهو ما كانت تمنعه الدولة السعودية لما دخلت مكة والمدينة تعظيماً لشعائر الله.

4 () يقصد المصاحب لركب الحجاج المغاربة.

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقاً وغرباً حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان والبر والإحسان قال: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعني ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة، وطهارة، وصيام، ونهي عن المنكر الحرام،و تنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام، التي كانت تُفعل بهما جهاراً من غير نكير.

وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي، ولا مركوب، ولا لباس وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم. وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته.

وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبوإسحاق إبراهيم الزداغي. فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة؟ وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟

فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي. فقال لهم: معاذ الله، إنما نقول كما قال مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة ». فهل في هذا

من مخالفة؟ قالوا: لا، وبمثل هذا نقول نحن أيضاً.

ثم قال له القاضي: بلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم.

فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد، ورفع صوته بالصلاة عليه، وقال: معاذ الله: إنما نقول: إنه ﷺ حي في قبره، وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء.

ثم قال له القاضي: وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته ﷺ، وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن إنكارها؟

فقال: معاذ الله أن ننكر ما أثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها؟ وإنما نمنع منها العامة الذي يشركون العبودية بالألوهية، ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم أغراضهم التي لا تقضيها إلا الربوبية، وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى، وتذكر مصير الزائر إلى ما صار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة، ويستشفع به إلى الله تعالى، يسأل الله المنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان ممن يليق أن يستشفع به، هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل -رضي الله عنه-

ثم قال صاحب الجيش: هذا ما حدَّث به أولئك

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفراداً فاتفق خبرهم على ذلك » اهـ.

وذكر المؤلف (صاحب الاستقصاء) بعد هذا الخبر بحثاً في زيارة القبور، رجّح فيه القول بمنع زيارة الأولياء سداً للذريعة مع بيان العلة، وإشهارها بين الناس،و ذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان -رحمه الله- كان يرى هذا، وألف فيه رسالته المشهورة »[1].

*** ويقول عبدالرحمن الجبرتي في تاريخه نقلاً عن بعض أكابر جيش محمد علي باشا الذين هزمهم أتباع الدعوة في الحجاز سنة 1227هـ:**

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضيتنا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم[2] إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته ويتمادون في

---

1 () الوهابيون والحجاز لمحمد رشيد رضا (37-39).

2 () يعني السعوديين.

معسكرهم هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين للصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين المحرمات، وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غلفاً غير مختونين، ولما وصلوا[1] بدراً واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف، وبها خيار الناس، وبها أهل العلم الصلحاء نهبوهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج[2] حتى اتفق أن بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته فقال له حتى تبيت معي هذه الليلة وأعطيها لك من الغد »[3].

ويقول محمد كامل ضاهر تحت عنوان: « الدعوة الوهابية والتطور »:

« مضى على ظهور الدعوة الوهابية حوالي قرنين من الزمن، استطاعت خلالهما، أن تحافظ على حيويتها رغم الصعاب الشديدة التي واجهتها، وأن تصبح مصدراً روحياً لمعظم حركات التجديد في

---

1 () يعني عسكر خصوم الدعوة.

2 () أكثر الخصوم يأخذون على أتباع الدعوة وصفهم بعض خصومهم بالكفر والشرك لمن قد يستحق هذا الوصف بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يتورعون عن إطلاق الكفر والخروج -كما في هذا النص- على أتباع الدعوة الذين هم أبعد عن هذه الأوصاف في واقع الحال.

3 () الجبرتي في تاريخه (3/341، 342).

العالم الإسلامي الحديث. فالعثمانيون حاولوا القضاء عليها عسكرياً بعدما شعروا بجسامة خطرها عليهم من الناحيتين السياسية والدينية، لكنهم فشلوا فأخذوا يحرضون الناس ضدها في شتى أنحاء العالم الإسلامي بعد أن اتهموا أتباعها بالكفر، وبالخروج على طاعة الخليفة العثماني. وقد شارك كثير من علماء المسلمين في هذه الحملة التشهيرية بعد أن هددت الدعوة مكانتهم عند الناس، وقوضت الخرافات والبدع التي كانوا يعتبرونها من صميم الدين. وساعد الانجليز أيضاً بهذا التشهير بأن لجأوا إلى تشويه مبادئ الدعوة، خاصة وأن بعض الهنود المتأثرين بالتعاليم الوهابية أسسوا دعوات متشابهة لها في بلادهم. فكانت مصدراً لكثير من المتاعب للحكم الانجليزي.

ساهمت كل هذه الأسباب في تعثر انتشار أفكار الدعوة بين المسلمين، أو التعرف إلى حقيقتها، لكن الوهابيين تخطوا كل هذه الظروف القاسية، واستطاعوا إنشاء دولة لها دورها المتعاظم في مجتمع الدولة المعاصر.

ومن الممكن أن نعلل حيوية الدعوة الوهابية واستمراريتها بالأسباب التالية:

1- لأنها كانت تعبر بصدق وإخلاص عن تعاليم الإسلام الحقيقية، كما جاءت من منابعها الأولى في القرآن والسنة، وكما مارسها النبي وصحابته.

لذلك دعت إلى تطهير هذه التعاليم من البدع والخرافات التي تسربت إليها من مصادر غريبة فشوهتها وحادت بها عن معانيها الحقيقية.

2- لأنها كانت أول حركة إسلامية في العصور الحديثة سعت إلى إعادة توحيد المسلمين دينياً وسياسياً بعدما أنهكتهم الخلافات المذهبية الضيقة، الناتجة عن تعصب كل فريق لمذهبه، دون النظر إلى ما في المذاهب الأخرى من أفكار وآراء راجحة.

3- لأنها ثارت ضد التقليد الذي كان أحد أسباب تخلف المسلمين الفكري وتقهقرهم الحضاري، ونادت بفتح الأبواب بين جميع المذاهب الإسلامية، تشبهاً بالأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب الذين دعوا إلى محاربة التقليد بجميع صوره، وإلى أخذ الحقائق من مصادرها أينما وجدت[1].

وبهذه الثورة ضد مظاهر الجمود والتقليد والتعصب، التي كانت الطابع المميز لمعظم المسلمين في العهد العثماني، كان مؤسس الدعوة، في طليعة الذين عملوا في العصر الحديث لفتح الأبواب بين المذاهب السنية الأربعة التي أغلقها الفقهاء الجامدون منذ القرن الخامس

---

[1] **() راجع مجموعة الرسائل والمسائل، النجدية رسائل وفتاوي الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان ابن معمر ص(325) (محمد كامل).**

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

الهجـري، وأول مـن شـدد علـى مبـدأ الاجتهـاد، واعتبروه واجباً على كل مسلم يستطيعه.

ففـي الـوقت الـذي حـارب فيـه الشـيخ محمـد بـن عبدالوهاب أي تدخل من جانب العقـل فـي قضـايا العقيدة باعتبارها من مصدر إلهي لا يجـوز للعقـل البشري مسها، فإن دعوته إلـى الاجتهـاد والثـورة على التقليد ردت الاعتبار إلى دور هذا العقـل فـي القضايا الدينية والدنيويـة الـتي لا نـص عليهـا فـي القرآن والسنة. فالاجتهـاد عمـل هـام م ن أعم ال العقل في تطور الإسلام ومرونته. وقـد وجـد فيـه زعمـاء الإصـلاح الإسـلامي المحـدثون السـبيل المـأمون للتطـور والإصـلاح الاجتمـاعي داخـل الإسلام نفسه وفي خلود هذا الإسـلام فـي العـالم المعاصر وفي المستقبل[1].

وبهذا الإقرار بمبدأ الاجتهاد الذي يساير التطور في المجتمـع البشـري، برهنـت الـدعوة الوهابيـة قبـل غيرها من الـدعوات الإصـلاحية الإسـلامية الحديثـة، علـى أنـه تتـوافر ف ي تع اليم الإسـلام من ذ البدايـة مرونـة تمكـن المجتمـع الإسـلامي مـن التطـور الطبيعي دون إهمال قواعده الأساسية.

4- استعانتها بقوة سياسية وحربية لتضمن لمبادئهـا الانتشار والفعالية؛ لأن النظريـات المثـل العليـا لا

---

[1] **() راجع الإسلام في نظـر الغـرب، ترجمـة إسـحاق موسـى الحسيني (72) (محمد كامل).**

تستطيع أن تنتصر بقوتها وصدقها فقط، بل بما يؤيدها من قوى سياسية واقتصادية وعسكرية. ومن أجل ذلك اتصل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بأمير الدرعية محمد بن سعود، وتعاهد معه على الجهاد، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الدعوة في جزيرة العرب، « باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند من لم يقبلها ».

إن أحد أسباب الفشل الذي منيت به الحركات الإصلاحية الإسلامية، قبل الدعوة الوهابية وبعدها، إنما يرجع إلى عدم توافر هذا المبدأ. وهو دليل على بعد النظر الذي كان يتصف به الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونصيره الأمير محمد بن سعود. وقد ظل هذا الاتحاد بين القوتين الدينية والسياسية، ينمو ويتفاعل، حتى انبثقت عنه المملكة العربية السعودية التي يزداد حجم تأثيرها الديني والسياسي والاقتصادي على المجتمعين الإسلامي والعربي من ناحية، وعلى المجتمع الدولي وحضارته من ناحية أخرى.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحضارة الغربية تطرح نفسها كمنهج للتطور المادي للشعوب، وتتسرب وسائلها إلى المجتمعات المتخلفة، كانت المملكة العربية السعودية، التي[1] تمسك بالتعاليم

[1] **() راجع الإسلام في نظر الغرب، ترجمة إسحاق موسى الحسيني (73) (محمد كامل).**

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

الإسلامية بمفهومها الوهابي، في طليعة هذه المجتمعات التي فتحت لها أبوابها واستعانت بها لتطوير حياة شعبها دون أن يمس ذلك بعقيدتها الدينية أو يتعارض معها »[1].

*** وإن من الحق ما شهدت به الخصوم ومن ذلك ما قاله عن أثر هذه الدعوة، خصمها: عثمان بن سند البصري واختصره عنه أمين بن حسن الحواني:**

قال: « ومن محاسن الوهابيين أنهم أماتوا البدع ومحوها. ومن محاسنهم أنهم أمنوا البلاد التي ملكوها وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين الشريفين. ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان أولاد رجل واحد »، ثم قال: « وبهاتين الدسيستين خدعوا جميع العوام يعني بمحو البدعة وتأمين الطرقات والسبل خصوصاً بين الحرمين وأحبهم سائر الأمم وغفلوا عن باقي معتقداتهم »[2].

---

1 () الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث (209-211).

2 () نقلاً عن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. محمد كمال جمعة (56).

المبحث الرابع
نماذج من شهادات غير المسلمين

لقد شهد للدعوة وإمامها وأتباعها ودولتها عدد كبير من الغربيين؛ من مختلف الدول الغربية، وكان كثير منهم شاهد عيان، أو ممن بحث هذه المسألة على المنهج العلمي المتجرد، أو وقف على شيء من الحقيقة.

وغالبية من وقفوا على حقيقة الدعوة من الرحَّالة والباحثين والمستشرقين أثنوا عليها، وعلى إمامها، ومما يؤسف له أن هؤلاء الأجانب وهم غير مسلمين إلا النادر منهم، كانوا أكثر إنصافاً في تقويمها وأصدق لهجة في الثناء عليها، وأكثر عدلاً في الحكم عليها من خصوم الدعوة من المنتسبين للإسلام، من أهل البدع والأهواء.

ولعل أهم سبب لذلك أن الدعوة واجهت أهل البدع، وكشفت عوارهم، وصادمت مصالحهم المبنية على رواج البدع وتبعية الدهماء لهم، التي أكسبتهم الجاه والمال والتحكم في مصالح البلاد والعباد.

أما أولئك فكانوا بعيدين عن الصراع المباشر مع الدعوة، ولذلك لما قامت دولتها وتوسعت، وقفت الدول الغربية وساستها ضدها وأسهموا في التحريض عليها ومحاربتها بكل الوسائل. لكن بقي كثيرون من أهل الفكر منهم والباحثين أقرب للحياد

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

والإنصاف والموضوعية في نظرتهم وأحكامهم.

يقـــول الرحالـــة (بوركهـــارت) السويســـري الأصل[1]:

« لم تكن مبادئ محمـد بـن عبـدالوهاب مبـادئ ديانة جديدة؛ بل كانت جهـوده موجهـة فقـط لإصـلاح المفاسد التي تفشّت بين المسلمين ونشـر العقيـدة الصـافية بيـن البـدو الـذين كـانوا مسـلمين اسـمياً، لكنهم جهلاء بالدين وغير مبالين بكـل فروضـه الـتي أوجبها[2]. وكما هي الحال بالنسبة لكل المصلحين لم يُفهم محمد بن عبدالوهاب من قِبَل أصـدقائه ولا مـن قِبَل أعدائه[3]. فأعداؤه حينما سمعوا بفرقته الجديـدة التي تهاجم انحراف الأتراك وتنظر إلـى نـ بيّهم محم د

[illegible] [illegible].[4]

---

1 () نقلـت الكلام بهوامشـه الـتي علقهـا الـدكتور عبـدالله الصالح العثيمين مترجم الكتاب.

2 () ورد فـي بعـض رسـائل الشـيخ محمـد مـا يؤيـد مـا ذكـره المؤلف، بل إنه كان بين البدو من لا يؤمن بالبعث بعد الموت. انظر: روضة الأفكار، ج 1 ص (108و 144) (العثيمين).

3 () أكثر أصدقاء الشيخ محمد قد فهموه فهم اً جي داً، لك ن م ن عامة أتباعه من جهل مبادئه نوعاً ما. أمـا أعـداؤه فمنهـم مـن فهمه، لكنا حاربه عناداً، ومنهم من جهله فعارضه بناء على مـا أشيع عنه خطأ (العثيمين).

4 () ينظـر الوهـابيون إلـى النـبي نظـرة شـ رعية: يحبّـونه ويتبعونه، ولكنهم لا يصرفون إليه أي نوع من أنواع العبـادة

[illegible]

(العثيمين).

1 () كانت مبادئ دعوة الشيخ محمد قد وصلت على الحجاز قبل أكثر من أربعين سنة من تولّي الشريف غالب الحكم، وكانت قد وصلت إلى هناك مشوّهة عن طريق معارضيها في نجد.

ووقف أشراف الحجاز منها موقفاً عدائياً منذ البداية؛ إذ سجنوا أتباعها، ومنعوهم من الحج سنين طويلة. ثم بدأوا يحاربونها عسكرياً منذ سنة 1205هـ.

انظر: تفاصيل ذلك في كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص (66-69) (الدكتور عبدالله العثيمين).

2 () في عهد الشريف مسعود بن سعيد؛ أي قبل تولّي الشريف غالب الحكم بأكثر من أربعين سنة أصدر قاضي الشرع بمكة حكماً كفّر فيه الشيخ محمداً وأتباعه، فمنعوا من أداء الحج سنين طويلة (العثيمين).

3 () من الواضح كره المؤلف للأتراك. على أن عقيدة الأتراك لا تختلف عن عقيدة غيرهم من المسلمين، فقد كانت البدع والخرافات منتشرة لديهم ولدى غيرهم على حد سواء (العثيمين).

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

« وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك تقارير كثيرة من الحجاج الذي ذهبوا عن طريق البحر إلى جدة ومكة، وعانوا من غطرسة الجنود الوهابيين، ولم يسمح لهم أداء الحج أحيانا. وبعد عودتهم إلى بلادهم بالغوا في تصوير ما عانوه. ومن المؤكد أن وصفهم للوهابيين لا يمكن أن يكون محايداً. ولذلك لم يكن غريباً أن أصبح من المعتقد في الشرق عامة أن الوهابيين كانوا يحاولون أن يوجدوا ديانة جديدة تماماً، وأنهم يعاملون الأتراك بقسوة متناهية لأنهم مسلمون؛ وهو اعتقاد لا ينفيه تصرّف كثير من الوهابيين[1]. على أن أصحاب هذا التصرّف من البدو الذين كانوا جهلاء تماماً بالإسلام قبل أن يعرفوا الوهابية، والذين لا تزال معرفتهم به غير صحيحة. ولذلك فإن المبادئ الجديدة بدت لهم ديانة جديدة؛ خاصة بعد أن عرفوا عادات الحجاج الأتراك وسكان المدن العرب ومبادئهم المختلفة، وقارنوها بمبادئهم الخاصة. ولم تسمح لهم روح التعصب، التي غذّاها رئيسهم بكل ما وسعه، أن يفرقوا بين أمور لا يعرفون عنها إلا معرفة غير صحيحة. وهذا

---

1 () الدعايات المغرضة ضد هؤلاء وتكفيرهم من قِبَل الأشراف وغيره من الأمور التي حدثت قبل استيلائهم على الحجاز بأكثر من نصف قرن، لكن هذا الاستيلاء وما ترتَّب عليه من أحداث زاد من تصميم الدولة العثمانية على القضاء عليهم (العثيمين).

يفسر بوضوح كيف حدث أنهم كانوا يتّهمون الأتراك بالكفر، وأن الأتراك بدورهم كان يتّهمونهم بذلك. على أن قليلاً من السوريين الأذكياء الذي قاموا بأداء الحج وجدوا فرصاً للتحدث مع المطلعين من الوهابيين، واقتنعوا -على الأرجح- أن عقيدة البدو كانت هي عقيدة الإسلام[1]. ومع أن آراءهم قد لا تتّفق مع آراء الوهابيين في كل النقاط فقد شعروا أنه من غير الإنصاف تسميتهم كفاراً. لكن شهادة مثل هؤلاء، إن جسروا على أدائها دون تعريض أنفسهم لتهمة سوء إسلامهم، كانت غير مجدية أمام الصيحة العامة؛ خاصة بعد سنة 1803م حين ردّت قوافل الحج، وتكوّن رأي عام بأن الوهابيين كانوا أعداء لدودين للديانة الإسلامية »[2].

« ومنذ أن وطّد جيش محمد علي مكانته في الحجاز، ولم تعد مكائد الشريف غالب ذات جدوى، وبدأت الاتصالات المباشرة مع زعماء الوهابيين وقادتهم الصغار، وعادت قوافل الحج تسير في

---

1 **() يظهر المؤلف، أحياناً، الوهابيين وكأنهم بدو فقط. والواقع أن عماد دعوة الشيخ محمد كانوا من حاضرة نجد، خاصة في المراحل الأولى من قيام الدولة التي قامت على أساسها. (العثيمين).**

2 **() كان منع سعود بن عبدالعزيز قوافل الحج من الوصول إلى مكة موجهاً فقط ضد أولئك الذين لم يتمشوا بما كان يراه من الحق ديناً وسياسياً، كما سيتضح فيما بعد (العثيمين).**

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

طرقها القديمة، عرفت حقيقة الوهابيين أحسن من ذي قبل حتى في الأجزاء البعيدة من المناطق التركية. ومن المرجح أن الاحترام الذي عبّر عنه أهل مكة تجاه حكمهم القصير قد أثّر بمعظمه على كل حاج استفسر عن تلك الفرقة الجديدة.

وإذا تطلب الأمر دليلاً آخر على أن الوهابيين مسلمون محافظون فإن كتبهم توضّح ذلك. فحينما استولى سعود على مكة وزّع نسخاً من تلك الكتب على السكان[1]. وأمر أن يحفظها التلاميذ في المدارس العامة. وليس فيما احتوته إلا ما لا بد لكل تركي من أن يعترف بأنه الحق. وكانت لدى سعود فكرة سيئة مؤدّاها أن سكان تلك المدينة نشأوا على جهل تام بدينهم. ولذلك رغب في أن يعلمهم أصول الأولى »[2].

إلى أن قال: « ولا يوجد في النظام الوهابي أي مبدأ أخلاقي جديد, فقد اتخذ محمد بن عبدالوهاب القرآن والسنة دليله الوحيد. والخلاف بين فرقته

---

1 () الكتاب الذي وزّعه سعود على أهل مكة بعد دخوله إليها هو رسالة الأصول الثلاثة؛ وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيّه محمداً وهذه الرسالة من تأليف الشيخ محمد المطبوعة مرات عديدة. وقد أورد بوركهارت ترجمة لها جعلها من بين ملاحق كتابه هذا. (العثيمين).

2 () مواد لتاريخ الوهابيين لبوركهارت (13-17) ترجمة وهوامش الدكتور عبدالله العثيمين.

وبين الأتراك السنّة، مهما قيل عنه، هو أن الوهابيين يتبعون بدقة نفس الأحكام التي أهملها الآخرون أو توقفوا عن مزاولتها كلية. ولهذا فإن وصف الديانة الوهابية ما هو إلا تلخيص للعقيدة الإسلامية. ولإيضاح النقاط التي تختلف فيها هذه الفرقة عن الأتراك لابد من إعطاء قائمة بكل المفاسد التي يدان بها هؤلاء الأخيرون. ويؤيد هذا القول بقوة رأي علماء أجلاّء من القاهرة. ففي خريف عام 1815م أرسل الزعيم الوهابي مندوبين إلى هذه المدينة أحدهما عالم وهابي جليل[1]. وقد طلب محمد علي باشا منهما أن يشرحا عقيدتهما لعلماء القاهرة الكبار. فتقابل العالم الوهابي معهم عدة مرات، وأحرز قصب السبق عليهم لأنه كان يبرهن على كل مسألة عن ظهر قلب بآية من القرآن أو حديث من السنّة؛ وهما مما لا يمكن ردّه بطبيعة الحال. فأعلن أولئك العلماء أنهم لم يجدوا أية بدع لدى الوهابيين.

---

[1] **() العالم الجليل المشار إليه هو عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم من آل مشرّف. وهو ابن بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ولد حوالي سنة 1190هـ. وكان قاضياً في الدرعية. وآخر عمل له تولّي القضاء في بلدة سوق الشيوخ العراقية حيث توفي بعد سنة 1240هـ.**
انظر: ترجمته في كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، لعبدالله البسام، مكتبة النهضة الحديثة بمكة، 1398هـ، ج 2، ص (443-444) (العثيمين).

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

وبما أن هذا الإقرار قد صدر من العلماء المذكورين فإنه لا يرقى إليه أدنى شك. وقد وصل إلى القاهرة أيضاً كتاب يشتمل على رسائل مختلفة عن موضوعات دينية كتبها محمد بن عبدالوهاب نفسه. وقرأ كثير من العلماء ذلك الكتاب، فأقروا بالإجماع أنه إذا كانت هذه هي عقيدة الوهابيين فإنهم أنفسهم يؤمنون بتلك العقيدة.

ولأن العامة من المتحمسين في أية فرقة جديدة يندر أن يتشبعوا بروح مؤسسها الحقيقية فقد حدث أن كثيراً من أتباع ابن عبدالوهاب عدّوا أموراً ثانوية من الأمور الأساسية في العقيدة. وهذا ما جعل أعداءهم يكوّنون فكرة خاطئة عما يفترضون أنها ديانة جديدة. وقد انصب هجوم الوهابيين الشديد -بعد حربهم للأولياء[1]- بصفة رئيسية على الملابس وتدخين التبغ. فملابس الأتراك الأغنياء لا تتفق إلا قليلاً مع تعاليم السنة التي تحرم لبس الحرير والذهب، كما تحرم لبس الفضة إلا بكمية قليلة. وقد نظر الوهابيون إلى أثواب الأتراك المزركشة بازدراء. ولأنهم علموا أن النبي

---

1 () لم يحارب الوهابيون الأولياء، ولم ينكروا كراماتهم. ولكنهم حاربوا وأنكروا صرف أي نوع من أنواع العبادة لهم.

انظر: تفصيل ذلك في كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص (113-114) (العثيمين).

[illegible]

أما تدخين التبغ فمن المعروف أن كثيراً من العلماء الأتراك قد ذكروا مراراً في كتاباتهم أنه عمل محرّم. وهو مكروه في المذهب المالكي، أحد المذاهب السنّية الأربعة. وكثير من العلماء في كل جزء في تركيا يمتنعون عن تدخينه على أساس ديني. وقد رغب الزعيم الوهابي أيضاً في أن يمنع تدخين النباتات المسكرة المستعملة كثيراً في الشرق لمعارضة ذلك للقرآن. لكنه لم يستطيع أن ينجح في هذا الأمر تماماً. ولابد أن ابن عبدالوهاب كان يعلم في الوقت نفسه أن أتباعه في تضحيتهم الكبيرة بامتناعهم عن التدخين سيصبحون بطبيعة الحال أشد أعداء لكل أولئك الذين لازالوا منغمسين في ذلك الترف، ولم يعتنقوا دعوته بعد[1]. وكان

---

1 () حرّم أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب تدخين التبغ على أساسين:

= أحدهما: أنه يسكر؛ خاصة إذا دخّن بعد فترة طويلة من الامتناع عن تدخينه.

وثانيهما: أنه يسبب رائحة خبيثة. والخبائث محرّمة بنص القرآن الكريم.

انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجديدة، القاهرة 1346هـ، ج 1، ص(652) (العثيمين) قلت: أهم سبب في

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

تحريم التدخين إحدى الوسائل الرئيسية لإثارة أذهان الوهابيين ضد الأتراك. فلقد أصبح كلمة لامّة لشمل المعتنقين الجدد للدعوة، لكنه ظل أصعب شيء على نفوس العرب من بين كل المبادئ التي نادى بها المصلح. وقد حرّم الوهابيون الدعاء بالمسبحة؛ وهو أمر شائع لدى المسلمين مع أن الشرع لم ينص عليه، ومنعوا استعماله[1]. ويقال أيضاً إنهم حرّموا شرب القهوة، ولكن ذلك غير صحيح؛ إذ أنهم دائماً يشربونها بقدر كبير.

ومن المشكوك فيه ما إذا كانت لدى ابن عبدالوهاب حين دعا إلى الإصلاح في الدرعية أية فكرة في إنشاء حكم جديد يستظل بظلّه أتباعه من جزيرة العرب[2]. فقوة أسرته وأسر أقاربه لم تكن تمكنه من اتخاذ تلك الخطوة التي يبدو أنها لم تنجح إلا

تحريمه ضرره المجمع عليه (الباحث).

1 **() يرى أتباع الشيخ محمد أن التسبيح باليد أفضل لأنه الوارد عن النبي ولأنه أكثر حضوراً للقلب (العثيمين).**

2 **() يبدو أن الشيخ محمداً كان يرى في بداية الأمر أن منطقة نجد هي مدار الدولة التي ستقوم على أساس دعوته. ذلك أنه حين قابل الأمير عثمان بن معمّر، أمير العيينة، قال له: « إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها ». وحين قابل الأمير محمد بن سعود بعد انتقاله إلى الدرعية قال له قولاً مشابهاً لذلك.**
انظر: عنوان المجد، ج 1، ص (22و 24) (العثيمين).

في عهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود. ولا ينكر أنه كان لابن عبدالوهاب فضل كبير على العرب بدعوتهم إلى مبادئه الجديدة، كما لا يمكن أن يقال: إن شكل الحكومة التي قامت على أساس دعوته غير مفيد لمصالح الأمة العربية جميعها ورفاهيتها. أما أن العقيدة السائدة والتي يقال: إنها محافظة هي الديانة المحمدية الصحيحة أم الوهابية فأمر غير مهمّ. لكنه أصبح مهمّاً أن يُقضى على الشرك الذي انتشر في كل جزيرة العرب وفي جزء كبير من تركيا، والذي ترك أثراً أكثر ضرراً على أخلاق الأمة من الاعتراف المحدّد بديانة خاطئة[1]. ولهذا فإن فضيلة الوهابيين ليست أنهم طهّروا الديانة الموجودة، لكن لأنهم جعلوا العرب يزاولون بدقة الأخلاق الإيجابية لدين واحد. ذلك أنه بالرغم من أن البدو في كل زمان عبدوا الله بإخلاص فإن المبادئ الإلهية وحدها لم يكن من المعتقد أن تكفي لتعليم أمة جافة صعبة المراس مزاولة الفضيلة والعدل.

ولقد دفعت رغبة ابن عبدالوهاب وخلفائه في إعادة العرب إلى الحالة التي كانوا عليها عند ظهور مؤسس ديانتهم إلى تغيير وضعهم السياسي بمجرد

---

1 **() هكذا وردت العبارة. ولعلّ بوركهارت قصد أن يقول: إن الأثر الذي تركه انتشار الشرك أكثر ضرراً من مخالفة ما جاء به الشيخ محمد من أمور خاطئة في نظر خصومه (العثيمين).**

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

أن رأوا أتباعهم في ازدياد. وكان محمد

وقــد رأى عبــدالعزيز مــن العبــث أن يحــاول استرقاق بني جلدته ولذلك تركهم ينعمون بحريّتهم؛ لكنه أجبرهم علـى أن يعيشـوا بسـلام، وأن يحـترموا

---

1 () لم يكن الأمـراء مـن أسـرة عبـدالعزيز بـن محمـد، الـذي حكموا قبله، زعمـاء قبيلـة؛ بـل كـانوا أمـراء لبلـدة. وحيـن توسع حكمهم بعد اتفاقهم مع الشيخ محمد بن عبـدالوهاب أصبحوا أمراء لمنطقة ثم لمناطق متعددة. فآل سـعود فـي الدرعيــة قبــل عبــدالعزيز وبعــده وكــانوا أمــراء حاضــرة. (العثيمين).

الملكيات الخاصة، ويطيعوا قرارات النظام »[1].

ويقول أحد الرحالة الغربيين الذي سمى نفسه (علي بك العباسي) وقد حضر موسم حج سنة 1807م وكانت الحجاز تحت سلطة الدولة السعودية الأولى:

« لم يلبث الجبل[2] حتى اكتسى وما حوله من الأرض بجموع الوهابيين وكان مشهدهم يملأ النفوس ذعراً[3]. ولكن إذا ما تغلب الإنسان على هذا الانطباع الأول، وجد لديهم خصالاً حميدة: فهم لا يسرقون قط، لا عن طريق القوة، ولا عن طريقة الحيلة، إلا إذا اعتقدوا أن المتاع يخص عدواً أو كافراً، وهم يؤدون أثمان كل ما يشترونه، وأجور كل الخدمات التي تقدم إليهم، بالعملة التي لديهم، يطيعون زعماءهم طاعة عمياء، ويتحملون صامتين كل أنواع المشاق، وهم على استعداد لأن يتبعوا قادتهم إلى أقصى أنحاء المعمورة .

« إن الحقيقة تفرض عليّ أن أعترف أنني وجدت جميع الوهابيين الذين تحدثت إليهم على جانب من التعقل والاعتدال [4]. وقد استقيت منهم كل المعلومات التي أوردوها عن مذهبهم. ولكن على الرغم من اعتدالهم، لا يستطيع السكان

1 () المصدر السابق (23-28).
2 () يقصد جبل عرفات.
3 () هذا بفعل الدعاية المضادة بدليل ما بعده.
4 () إذن لماذا الذعر؟.

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

والحجاج سماع مجرد اسمهم دون أن تتملك الرجفة قلوبهم، ولا يتلفظون به إلا همساً. لذا فإن الناس يهربون منهم، ويتجنبون التحدث إليهم قدر الإمكان، وكلما أردت التحدث إليهم كان علي أن أتغلب على كثير من الصعوبات التي يخلقها لي من يحيطون بي ».

والسبب الأول في هذه العداوة أن الناس لم يفهموا للوهلة الأولى المعنى الإصلاحي لهدم المزارات وتقويض أضرحة الأولياء التي كان المؤمنون يؤدون لها واجب الإجلال، وقد كاد هذا الإجلال يتحول إلى نوع من العبادة التي لا تجب إلا لله وحده.

وألغيت بعض العادات التي كان يتبعها الحجاج، كالإبقاء على خصلة من الشعر عند حلاقة الرأس وفقاً للتقاليد، وحظرت زيارة بعض الأماكن المقدسة التي دخلت من قبل في تقاليد الحج. وهكذا هدم مزار جبل النور الذي تقول التقاليد أن الملاك جبرائيل أملى فيه على النبي أول سورة من القرآن، وأقيم حاجز كبير في أسفل الجبل للحيلولة دون صعود الحجاج إليه لأداء الصلاة فيه. وكذلك هدم مزار جبل عرفات نفسه.

وقد طبق الوهابيون، على عكس ذلك، نصوص الشريعة كما وردت في القرآن الكريم، تطبيقاً مشدداً بحماسة كلية، حتى أن أحداً من الحجاج لم يجرؤ على التدخين. وأرسل سعود قاضياً وهابياً ليحل محل الحاكم الزنجي الذي كان قد عينه الشريف في

مكة. ومنذ ذلك الحين ساد المدينة نظام جديد. فقد عهد إلى الشرطة الخاصة بالمحافظة على مواعيد الصلاة أن تجوب المدينة لحمل الناس على حضور الصلاة العامة خمس مرات في اليوم. وكان الصناعيون والتجار يجدون أنفسهم مضطرين إلى ترك مشاغلهم وحوانيتهم لأداء تلك الفريضة »[1].

ويقول ر. ب. وبندر في كتابه: « العربية السعودية في القرن التاسع عشر »:

« ونحن لا نعرف إن كانت الوهابية تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء، ولكن أحداً لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، وأنها استطاعت الانتقال من « الواقعية » إلى « المثالية »، ومما كان عليه الإسلام إلى ما يجب أن يكون عليه، وبقيت محتفظة « بحيويتها » وفكرتها التحريرية.

ويقول المستشرق الفرنسي هنري لاوست بعد أن ذكر حركة الأفغاني ومحمد عبده:

« ويطلق لقب السلفية أيضاً على الحركة الوهابية؛ لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صفائه الأول، في عهد السلف الصالح، ولكن كلمة السلفية ليست خاصة بالوهابيين أو الحنابلة، ففي كل المذاهب السنية سلفيون »[2].

وكتبت (معلمة الإسلام) في نسختها الإنكليزية،

---

1 () اكتشاف جزيرة العرب لجاكلين بيرين (202، 203).

2 () تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (1/351).

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

تحت عنوان « الوهابية »، ما يلي:

« غاية الوهابية تطهير الإسلام، وتجريده من البدع التي أدخلت عليه بعد القرن الثالث الهجري، ولذلك نراهم يعترفون بالمذاهب الأربعة ويكتب الحديث الستة »[1].

ويقول الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد في كتابه (حاضر العالم الإسلامي):

« في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق درجة؛ فاربدّ جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه، ورجا من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب؛ وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي؛ واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات؛ وماتت الفضيلة في الناس؛ وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ».

إلى أن قال: « وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء؛ فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية؛ وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء؛ ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور؛ وغابت عن

[1] **() المصدر السابق (1/356).**

الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان؛ وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء. ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام؛ فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي على من استطاعه ضرباً من المستهزآت؛ وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار؛ فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام؛ لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين؛ كما يلعن المرتدّون وعبدة الأوثان[1].

وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته؛ إذ بصوت قد يدوى من قلب صحراء شبه الجزيرة؛ مهد الإسلام؛ يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم؛ فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور (محمد بن عبدالوهاب) الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت؛ واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي. ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد

---

[1] () لو أن فيلسوفاً نقريساً من فلاسفة الإسلام، أو مؤرخاً عبقرياً بصيراً بجميع أمراضه الاجتماعية، أراد تشخيص حالته في هذه القرون الأخيرة ما أمكنه أن يصيب المحز وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكي ستودارد، (تعليق: شكيب أرسلان).

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

الإسلامي القـديم والعـز التليـد؛ فتبـدت تباشـير صـبح الإصلاح ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام.

إلى أن قال: « فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتـة. غرضـها إصـلاح الخـرق، ونسـخ الشبهات، وإبطال الأوهام، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضـعها أربابها في عصور الإسـلام الوسـطى، ودحـض البـدع وعبـادة الأوليـاء، وعلى الجملة هي الرجوع على الإسلام والأخذ به على أولــه وأصـله، ولبـابه وجـوهره، أي إنهـا الاستمسـاك بالوحدانية التي أوحى الله بهـا إلـى صـاحب الرسـالة، صافية ساذجة، والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجرداً وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء مــن الإسلام . ويقتضي ذلك الاعتصام كل الاعتصام بأركان الدين وفروضه وقواعد الآداب؛ كالصلاة والصوم وغير ذلك »[1].

ويقول المستشـرق الهولنـدي كرسـتيان سنوك هود خرونيه:

« لقد ظهر علـى أرض شـرق الجزيـرة العربيـة مصلح للإسلام[2] كسب إلى جـانبه أمـراء[3] الدرعيـة، الذين ساندوه في دعوته ثم تدريجياً منت بدعوته كل مراكز الجزيرة العربية.

---

1 **() حاضـر العـالم الإسـلامي ترجمـة عجـاج نـويهض تعليـق: شكيب أرسلان.**

2 **() هو الإمام محمد بن عبدالوهاب.**

3 **() هو الإمـام محمـد بـن سـعود مؤسـس الدولـة السـعودية الأولى ونصير الدعوة.**

لقد كان هذا المصلح ينوي أن يعيد الحياة للإسلام بكل ما لديه من قوله، ليس في الجزيرة وحدها، بل في كل مكان يستطيع الوصول إليه »[1].

إلى أن قال: « لقد كان السمة التي تميز بها محمد بن عبدالوهاب كونه عالماً تثقف بالعلوم الإسلامية، وفهم مقاصدها وأسرارها، واستطاع بجدارة تامة أن يبرز الإسلام بالصورة الصالبة النقية، كما جاء به الرسول ﷺ».

وقال: « لقد أدرك محمد بن عبدالوهاب الاختلاف بين الإسلام كما جاء به الرسول ﷺ، والإسلام الذي يمارسه الناس في عصره »[2].

ثم قال: « لقد التزم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالدعوة إلى الإصلاح وجعله هدف دعوته، وكان رائده الإخلاص في القول والعمل. وقد سخّر لذلك لسانه وقلمه، بجانب قوة ابن سعود وسيفه الذي تبنى هذه الحركة الإصلاحية ودعمها. لقد كانت مدرسة الإمام أحمد بن حنبل هي التي رفع لواءها الشيخ، وجعلها أساساً فكرياً للإصلاح. وربما تكون هذه المدرسة أكثر المدارس بساطة وقرباً من قلوب السكان، الذين يعيش معظمهم في جهل مطبق، مماثل للجهل الذي كان سائداً في عهد الرسول ﷺ

---

1 () صفحات من تاريخ مكة (253، 254).
2 () المصدر السابق (526، 257).

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

[illegible]

[illegible]

لقد قدّر العالم فرصة قليلة لنجاح الدعوة السلفية. وربما كان تقدير سكان المدينتين المقدستين لنجاح هذه الحركة أقل من غيرهم؛ لأن ما كانت الدعوة الإصلاحية تقوم عليه، وتطالب بإلغائه، كان من بين متطلبات الحياة عند سكان المدينتين المقدستين. فالقبور والأضرحة والبيوت المقدسة كانت تجلب الأموال والفوائد للأدلاء والسدنة. والرسول الذي كان يُتغنّى باسمه في كل عيد بأغاني المديح، تعدّ زيارة قبره في المدينة من أكبر الحظوظ. إن كل هذه الأمور تبدو على عكس ما يراه زعماء الإصلاح الجدد، الذين كانوا يرون أن معظم الجاليات الإسلامية في مكة والجنود وكذلك الرعاع تنتاب حياتهم الكثير من البدع. وأن بعض العلماء هنا يتساهل في قبول مثل هذه الأمور البدعية »[1].

يقول المستشرق الأسباني «أرمانو» الذي طاف عام (1921) في أنحاء نجد:

---

[1] () المصدر السابق (258، 259).

« إن كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق، فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالإسلام إلى عصر صحابة « محمد » ».

ويقول أحد المعاصرين المحايدين وهو ولي العهد لولاية برليس بماليزيا:

حيث قرأ ترجمة كتاب « مجموع رسائل شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب فقال: « وقرأت تلك الترجمة ووجدت أن ما فيها كله مستدل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة. ووجدت أن محمد بن عبدالوهاب في كتابه دعانا إلى توحيد الله والابتعاد عن الشرك والخرافات. وهل مثل هذه التعاليم خطأ ويؤدي إلى الخلاف والتفرقة...؟ وأنا أرى أن من قرأ الكتاب سيجد الشيخ أراد أن نفرّق بين الحق والباطل وبين الهداية والضلالة »[2].

---

1 () كتاب « الإسلام » للمستشرق الإيطالي (ليبرتيني) نقلاً عن كتاب بين الديانات والحضارات لطه المدوَّر (142).

2 () مقتطفات من كلمة ولي عهد ولاية (برليس) بماليزيا في دورة تدريبية لمعلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي أقامتها الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام (1415هـ) مناولة الدكتور عبدالله بن محمد الطريقي.

المبحث الخامس

استطلاع آراء نخبة من طلاب العلم والخريجين من شتى بلاد العالم

من خلال هذا البحث وفي أثنائه قمت باستطلاع آراء عدد من طلاب العلم والباحثين وخريجي الجامعات وحملة الماجستير والدكتوراه بطرح عدد من الأسئلة المتنوعة حول هذه الدعوة وتسميتها بالوهابية، والأصول التي قامت عليها، وعن واقعها وأثرها في العالم كله، وعن الشبهات التي تثار حولها وجوابها، وعن الملاحظات التي يراها المشارك في هذه الاستبانة على الدعوة وأتباعها وعن ما لديه من نصائح واقتراحات ووصايا.

وقد قمت بتوزيع الاستبانة عشوائياً دون انتقاء للأسماء والأشخاص ولا البلدان ولا الفئات ولا المؤسسات ولا الجامعات.

كما أن أكثر هذه النخبة هم من طلاب المنح في الجامعات السعودية وكثيرون من غيرهم.

وكان حرصي على استطلاع آراء هذه النوعية لأنهم تتوافر فيهم صفات مطمئنة من: الثقافة الشرعية والبحث العلمي، واستقلالية الرأي، والنضج الفكري والعقلي، وأقرب إلى التجرد والإنصاف، وأقدر على معرفة حقيقة الدعوة.

ونظراً لما قد يشعر به البعض من الحرج أو

العوائق التي قد تمنع من كشف كامل الحقيقة التي يراها من يجيب على هذه الاستبانة، كان ذكر الاسم اختيارياً ولذلك وردت عدة إجابات دون ذكر الأسماء.

وقبل أن أعرض نتائج الاستبانة في الملحق ينبغي أن أشير إلى خلاصة نتائجها بإجمال.

1- كانت الإجابات عن السؤال الأول: (ماذا تعرف عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو ما يسمى (الوهابية) كلها تجمع على معرفة الشيخ ودعوته، وتختلف فيما بعد ذلك فأكثر الإجابات ركزت على أوصاف الدعوة، أو أصولها، أو أهدافها، أو بعض ذلك.

2- وكان السؤال الثاني عن الرأي بهذه التسمية: (الوهابية) وكانت أغلب الإجابة على أن وصف الدعوة بالوهابية غير مرغوب فيه وليس صحيحاً، وأنها جاءت من الخصوم على سبيل اللمز والسخرية، وعدد قليل قال بأنه لا يمانع من إطلاقها لأنها أصبحت علماً على دعوة الإسلام والسنة، ولا عبرة بالمصطلحات والألفاظ مادامت المضامين صحيحة.

3- والسؤال الثالث كان: هل هذه الدعوة معروفة ببلدك وبماذا تسمى؟

وكانت سائر الإجابات تذكر أنها معروفة في كل بلد من البلاد التي ينتمي إليها المشاركون وعددها (34) بلداً عدا (بنين ويوربا) لا تعرف فيها الدعوة،

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

حسب إفادة كاتبي الاستبانة وهما واحد من كل بلد من هذين البلدين.

وتذكر الإجابات أن الدعوة تسمى بالوهابية، والسنة، والسلفية، وأهل الحديث، وأهل السنة. وتطلق على كل من يتمسك بالسنن، ويحارب البدع ويتجنبها، أو يدعو لذلك. وتسمى بالخامسية، ونحو ذلك مما سيأتي تفصيله بعد قليل، وأغلب الإجابات تذكر أنها تقال على سبيل السخرية والسبّ واللمز.

4- وكان السؤال الرابع: (هل ترضى أن تنسب لهذه الدعوة، أو أن يقال عنك: (وهابي)؟).

فكانت أكثر الإجابات على أن الانتساب لهذه الدعوة مرغوب فيه وشرف لأنها دعوة الإسلام والسنة، لكن دون الارتباط بوصف (الوهابية) فهذا غير مرغوب فيه لأنه سبَّ ولمز يحمل مفاهيم خاطئة عن الدعوة في أذهان الناس.

وبعضهم قال: لا مانع من الانتساب (للوهابية) بهذا الوصف لأن العبرة بالمضامين! ولأنها اشتهرت وصفاً لهذه الدعوة السلفية ولا مشاحة في الاصطلاح.

5- والسؤال الخامس عن (أهم الأصول التي قامت عليها الدعوة في نظرك؟).

وقد اتفقت غالب الإجابات على أن الدعوة هي الدين الحق، الإسلام، وأنها تعتمد على القرآن

والسنة، ونهج السلف الصالح، وأنها تمثل أهل السنة والجماعة ونحو ذلك. وما عدا ذلك تفاوتت الإجابات في تعداد أصول الدعوة وكان أهمها أنها سلفية إصلاحية تجديدية، تدعو للتوحيد ومحاربة الشركيات، ونحو ذلك مما سيأتي ذكره تفصيلاً خلال الصفحات التالية.

6- والسؤال السادس: عن (أهم المزاعم والشبهات والمفتريات التي يقولها الناس عن هذه الدعوة أو "الوهابية"؟).

وكانت أكثر الإجابات تقول بأن الناس يشيعون أن الوهابية مجسِّمة، وأنهم لا يحبون الرسول [illegible]

[illegible]

الرابع: شهادات الناس للدعوة قديماً وحديثاً

-

-

-

[illegible]

[illegible]

[illegible]